ان الحمد كان بها وقال بعضهم المحمود عليه حقيقة هي آثار الصفات العلية
وملخص ما قاله بعض الفضلاء هو ان استحقاقه تعالى الحمد باعتبار ذاته
من غير اعتبار صفاته هو المعنى بالاستحقاق الذاتي المستفاد من اللام
الجارة ثم في النعت بما يتفرع عليه من الافعال ايماء الى استحقاقه الحمد
على تلك الافعال فالمحمود عليه في الحمد لله بحسب مضمون الكلام اعني
الاخبار بالاستحقاق الذاتي للحمد هو صفات الكمال وللحمد الثاني المستفاد
من النعت هو مضامين الصلات المتعاقبة وذاك محمود به فالتغاير
بينهما اعتباري في الثاني كوصف زيد بالشجاعة على شجاعته بقي الكلام
فيه من جهة التقسيم والاعراب فنقول ان الحمد اللغوي هو الوصف بالجميل
على جهة التعظيم والتبجيل باللسان وحده والعرفي فهو فعل ينبئ عن تعظيم
المنعم لكونه منعما اعم من ان يكون فعل اللسان والجنان والاركان والقولي
هو حمد اللسان وثناؤه على الحق بما اثنى به على نفسه على السنة الاولياء
والانبياء والرسل والفعلي هو الاتيان بالاعمال البدنية ابتغاء
لوجه الله والحالي هو ما يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات
العلمية والعملية والتخلق بالاخلاق الالهية والنبوية فحمد الله عبارة
عن تعريفه وتوصيفه بنعوت جلاله وصفات جماله وسمات كماله الجامع
لهما سواء كان بالحال او بالمقال وهو معنى يعم الثناء باسمائه الجليلة والشكر
على نعمائه الجزيلة والرضى باقضيته الحميدة والمدح بافعاله الجميلة وذلك
لان صفات الكمال اعم من صفات الذات والافعال والتعريف بها
اعم منه باللسان او بالجنان او بالاركان واما الحمد الذاتي فهو السنة الكمل
لظهور الذات في ذاته لذاته والحمد الحالي اتصافه بصفات الكمال سوابقها
ولواحقها مثل الاقوال والله سبحانه يثني بنفسه على نفسه نعم المولى ونعم
النصير والحمد لله فانه تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه
في ازله نيابة عن خلقه قبل ان يحمدوه وقيل كل ما اثنى الله على نفسه فهو
في الحقيقة اظهاره بفعله فحمده لنفسه بث اياته واظهار نعمائه
بمحكمات افعاله وعلى ذلك شهد الله انه لا اله الا هو فان شهادته لنفسه
احداث الكائنات دالة على وحدانيته ناطقة بالشهادة له ويثني بنفسه
على فعله نعم العبد انه اواب ويثني بفعله على نفسه كقول العبد الحمد لله ويثني
بفعله على فعله كقول العبد نعم الرجل زيد فكل حمد اذن مضاف اليه وان
اختلفت جهة الاضافة ثم ان الحمد لله واجب في الدنيا لانه على نعم متفضل
بها وهو الطريق الى تحصيل نعم الاخرة والحمد في الاخرة ليس بواجب لانه

على نعم

على نعم واجبة الايصال بوعده الى مستحقها وانما هو تتمة سرور المؤمنين
يتلذذون به كما يتلذذ من به العطاش بالماء البارد ثم الحامد في بدء
تصنيفه ان لم يقابل حمده بنعمة فهو حامد لغة فقد وان قابله بها فهو حامد
لغة وعرفا وشاكر لغة وان جعله جزأ من شكر عرفي بان صرف سائر
ما انعم له كما صرف لسانه فهو حامد لغة وعرفا وشاكر كذلك وذلك
اعلى مراتب الحامدين واما اعراب الحمد لله فهو في الاصل من المصادر المنصوبة
بالافعال المقدرة السادة مسدها كما في شكرا وسقيا ورعيا ونحوها
حذف فعله لدلالة المصدر عليه ثم عدل الى الرفع لقصد الدوام والثبات
وادخل عليه الالف واللام فصار الحمد لله ولما كانت نعم الله على كثرتها
قسمان دائمة ثابتة وحادثة متجددة اختلف في هذا اختيار العلماء
فمنهم من يختار الجملة الاسمية ومنهم من يختار الفعلية جريا على
قضية التناسب لكن الحمد لله ابلغ من احمد الله واحمد الله احمدا اما من الاول
فلانه يحتمل الاستقبال فيكون وعدا لا تنجيزا وكونه حقيقة في الحال
عند الفقهاء لا يدفع الاحتمال على ان ارادة الحال يفيد انقطاعه
من الجانبين لعدم ما يدل على الاستمرار الا ان يراد معنى قولهم ما مضى
فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها واما من الثاني
فلان الحصر انما يعتبر في مقام يكون فيه خطاء يرد الى الصواب
ومقام الحمد من المسلم يابى ان يعتقد ان غير الله محمودا عنه فاخطاء
فيرد الى الصواب ويقتضي ان يكون على اسلوب دال على الثبوت لدائما
وهو الحمد لله وصيغة المتكلم مع الغير وان كانت تدل على وجود
مشارك في صفة الحامدية من بني صنفه او نوعه او جنسه او كل
العالمين او مما يختص به من الجوارح والموارد مع ما في التشريك من
الاستعانة والاشفاق ودفع توهم الاختصاص وغير ذلك لكنه
لا يفيد ما يفيده الحمد لله من كونه محمودا ازلا وابدا بحمده القديم سواء
حمد او لم يحمد وان الحمد حقه وملكه بسبب كثرة اياديه وانواع
آلائه على العباد وليس فيه ادعاء ان العبد آت بالحمد بل تقول من
انا حتى احمده لانه محمود بجميع حمد الحامدين وفيه دخل حمده وحمد
غيره من اهل العالم الى اخره بل الى ما لا نهاية له وفيه تصريح بان
المؤثر في وجود العالم فاعل مختار الى غير ذلك وليس في المدح تلك
الفوائد وفيه ايضا دلالة على الحمد لاجل كونه مستحقا لا لخصوص
انه اوصل النعمة اليه فيكون الاخلاص كل والانقطاع عما سواه

Copyright King Saud University